﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةً لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٤﴾ [البقرة: 224]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ملاكُ المناسبة بين هذه الآية وما قبلها: أنَّه تعالى لما أمرَ بتقوى الله تعالى، وحذَّرهم يوم الميعاد، نهاهم عن ابتذالِ اسمه، وجعْلِه معرضًا لما يحلفون عليه دائمًا؛ تنزيهًا عمَّا لا يليق به من الحلف به في قليل أو كثير، عظيم أو حقير؛ لأنَّ كثرة ذلك توجبُ عدم الاكتراث بالمحلُوفِ به[1]. ويجوز أنْ تكون المناسبة "أنه تعالى لما أمر المؤمنين بالتَّحرُّز في أفعالهم السابقة من: الخمر، والمَيْسِر، وإنفاق العفو، وأمر اليتامى، ونكاح من أشرك، وحال وطء الحائض، أمرهم تعالى بالتحرز في أقوالهم، فانتظمَ بذاك أمرُهُمْ بالتَّحرُّز في الأفعال والأقوال"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ﴾: معنى جَعَلَ في معجمات اللغة: صَنَعَ، وصَيَّر، وخَلَقَ، وَوَضَعَ[3]. وذكر الرّاغب تَصرُّفَ الفِعْلِ على خمْسَة أوْجُهٍ: منها ما يَتَعَدَّى إلى مَفْعُولٍ واحد فيجري مجْرَى أوْجَدَ، وكَوَّن شيئًا من شَيءٍ[4]. فيكون بمَعْنَى الخَلق والإيجادِ، أي: التَّوجُّهِ والشّرُوعِ في الشَّيء، والاشتغالِ بِهِ. فيتعَدَّى إلَى مفعولٍ وَاحِد[5]. قال الزمخشريُّ: "جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ، كقَوْله ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: 1] وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير، كقَوْله ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف: 19]"[6].

ومعنى (جَعَلَ) وما تَصَرَّف منها في القرآن التَّحويل والتَّهْيئةُ على وَضْعٍ، أو الخَلق،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/187.
(2) أبو حيّان، المصدر نفسه: 2/187.
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، ابن سيده، المحكم: (جعل).
(4) الراغب، المفردات: (جعل).
(5) الزبيدي، تاج العروس: (جعل).
(6) الزَّمخشري، الكشَّاف: 2/3.

وهو تحويلٌ للهيئة بإنشاءِ هَيْئَةٍ جَديدةٍ[1]. وهو معنى اللفظة في الآية الكريمة بتحويل اسم الله تعالى عن أصل استعماله.

2) ﴿عُرْضَةَ﴾: العَيْنُ وَالرَّاءُ وَالضَّادُ بِنَاءٌ تَكْثُرُ فُرُوعُهُ، وَهِيَ مَعَ كَثْرَتِهَا تَرْجِعُ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ العَرْضُ الَّذِي يُخَالِفُ الطُّولَ[2]. وفلان عُرْضة للنّاس لا يزالون يقعون فيه[3]. فالعرضة: ما يجعل معرضًا للشَّيءِ[4]. وجعلتُ فلانًا عُرْضَةً لكذا وَكَذَا، أَي نصبته لَهُ[5]. واعترض الشَّيء: صارَ عارضًا، أي: حائلا دونَه[6]. فالعرضة اسم ما تعرضه، وهو المانع، والحائل، والحاجز المعترض بين شيئين، وقد تصور العرضة بصورة المبتذل[7]. وكل هذه المعاني مُرادة في اللفظ بِحَسَبِ ما سيأتي بيانه في الشرح البلاغيّ.

3) ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾: اليَاءُ وَالمِيمُ وَالنُّونُ: كَلِمَاتٌ مِنْ قِيَاسٍ وَاحِدٍ. فَاليَمِينُ: يَمِينُ اليَدِ. وَاليَمِينُ: الحَلِفُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ اليَدِ اليُمْنَى. وَسُمِّيَ الحَلِفُ يَمِينًا لِأَنَّ المُتَحَالِفَيْنِ كَأَنَّ أَحَدَهُمَا يَصْفِقُ بِيَمِينِهِ عَلَى يَمِينِ صَاحِبِهِ[8]. فاليمين: أصله الجارحة، وهو في الحلف مستعارٌ من اليَد اعتبارًا بما يفعلُه المعاهِد والمحالِف وغيره[9]. واليمين: القَسَم، وجمعه: أَيْمانٌ. وأَيْمُنٌ: حرفٌ وُضِعَ للقَسَم[10]. والأَيمان في الآية بمعنى الحلف والقسم[11].

4) ﴿تَبَرُّواْ﴾: البَاءُ وَالرَّاءُ فِي المُضَاعَفِ أَرْبَعَةُ أُصُولٍ: أولها الصِّدْقُ، وَبَرَّتْ يَمِينُهُ صَدَقَتْ، وبَرَّ اللَّهُ حَجَّكَ وأَبَرَّهُ، وحِجَّةٌ مبرورةٌ أَيْ: قُبِلَتْ قَبُولَ العَمَلِ الصَّادِقِ. ويَبَرُّ رَبَّهُ، أَيْ: يُطِيعُهُ. وَهُوَ مِنَ الصِّدْقِ[12]. و(البَرُّ) من أسماء الله تعالى هو العطوف على عباده

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (جعل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عَرَضَ).
(3) الخليل، العين: (عرض).
(4) الراغب، المفردات: (عرض).
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة: (عرض)
(6) الجوهري، الصحاح: (عرض).
(7) الراغب، تفسير الراغب: 1/460-461.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (يَمَنَ).
(9) الراغب، المفردات: (يمن).
(10) الفراهيدي، العين: (يمن).
(11) جبل، المعجم الاشتقاقي: (يَمَنَ).
(12) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بَرَّ).

ببرِّه ولُطْفِه[1]. والبِرُّ بالكسر: الإحسان، وهو: خلاف العُقوقِ[2]. والبَرُّ خلاف البَحْر، وتُصُوِّرَ منه التَّوسُّع فاشتُقَّ منه البَرُّ، أي: التَّوسُّع في فعل الخير، وينسب ذلك إلى الله تعالى تارة نحو: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: 28]، وإلى العبد تارة، فيقال: بر العبد ربه، أي: توسع في طاعته، فمن الله تعالى الثواب، ومن العبد الطاعة. وذلك ضربان: ضرب في الاعتقاد، وضرب في الأعمال[3]، وتحتمل اللفظة المعنيين.

5) ﴿سَمِيعٌ﴾: السِّينُ وَالمِيمُ وَالعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ إِينَاسُ الشَّيء بِالأُذُنِ مِنَ النَّاس[4]، فالسَّمْعُ: الأُذُن، وما وقر فيها من شيء يسمعه[5]. وهو: قوة في الأذن به يدرك الأصوات، وفعله يقال له السمع. ويعبر تارة بالسمع عن الأذن، وتارة عن فعله كالسماع، وتارة عن الفهم، وتارة عن الطاعة[6]. واسْتَمَع إِلَيْهِ وتَسَمَّعَ: أصغى، والسَّميع: من صِفَاته جلّ وَعز[7]، وهو فعيل من أبنية المبالغة، وهو: الذي لا يعزُبُ عن إدراكه مسموعٌ وإنْ خفِيَ، فهو يسْمَعُ جميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، ويحيط بها إحاطته التامة. ومعنى السَّميع أيضًا المجيب: أي سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيصيبهم من كرمه ويثيبهم[8]. وكلُّ ما في القرآن من وصفِ المولى ﷻ فهو عِلمُ ما يقال بكيفيّةٍ يعلمُها تعالى في ملكوته[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ولا تُكْثروا من الأَيْمان، وتعرِّضُوا اسمَ الله تعالى للقسَم به، وتحلفوا به في الامتناع من البِرِّ، والتَّقوى، والإصْلاح بين النَّاس، بحيث يكون حَلْفكم بالله مانعًا لكم من البرِّ وصلة الرحم والتقوى والإصلاح بين الناس؛ فإذا حلف أحدكم فرأى الذي هو خيرٌ ممَّا حلف عليه من تركِ البرِّ والإصْلاح بين النَّاس، فليَحْنَثْ في يمينه، وليَبرَّ، وليتقِ الله، وليُصْلِح

(1) ابن الأثير، النهاية: (بَرَرَ).
(2) الجوهري، الصحاح: (برر)، ابن الأثير، النهاية: (بَرَرَ).
(3) الراغب، المفردات: (بر)
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سَمِعَ).
(5) الخليل، العين: (سَمِعَ).
(6) الراغب، المفردات: (سَمِعَ).
(7) ابن سيده، المحكم: (سَمِعَ).
(8) ابن الأثير، النهاية: (سَمِعَ)، والسعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 35.
(9) جبل، المعجم الاشتقاقي: (سَمِعَ).

تـكـريـمُ اسـم الله تعالى عن مواضع ابتذال الحَلِف به

بين النَّاس، وليكفِّر عن يمينه. فإنَّ الحنث حاصل مع الإكثار من الأَيْمان، وفيه قلة رعي لحق الله تعالى، والله سميع لأقوالكم، عليم بجميع أحوالكم[1].

وترشدُ الآية الكريمة إلى أنّ في صيغة اليمين تأدُّبًا مع اسم الله تعالى، وأنَّ تعظيمَ الله لا ينبغي أن يجعل وسيلة لتعطيل ما يحبه الله من الخير، فإن المحافظة على البر في اليمين ترجع إلى تعظيم اسم الله تعالى، وتصديق الشهادة به على الفعل المحلوف عليه، وهذا وإن كان مقصدًا جليلًا يشكر عليه الحالف الطالب للبرِّ لكن التَّوسل به لقطع الخيرات مما لا يرضى به الله تعالى[2].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بَلَاغَةُ الْوَصْلِ وَالِاعْتِرَاضِ فِي مَطْلَعِ الآيَةِ:

لـتـعـالـقِ مـضـمـونـي جملتي العَطْف بـوصـفـهـمـا تشريعًا

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ معطوف على قوله قبلُ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ عطفَ تشريع على تشريع، فالمناسبة بين الجُمْلتين تعلُّق مضمونَيْهما بأحكام معاشرة الأزواج، مع كونِ مضمون الجُمْلة الأولى منعًا من قِربان الأزواج في حالة الحَيْض[3].

ووجه الاعتراض فـي كـون مـضـمـونـهـا تمهيدًا لما بعده

ومع كونِه كذلك؛ فإنَّ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ تمهيدٌ لقوله بعدُ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [البقرة: 226]، فوقعَ هذا التَّمهيد موقعَ الاعتراض بين جملة ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، وجملة ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾، فبيْنَ الآيات وما قبلَها وما بعدَها تناسبٌ بهذا الاعتبار[4].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 4/425، وابن عطية، المحرر الوجيز: 1/300، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/379.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/379.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/375-376.
(4) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 2/289، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/375.

من أوْجهِ وصلِ الجملةِ بما قبلَهَا بالواوِ:

تَعْظِيمُ اسمِ اللهِ تعالى والتَّحذيرُ مِن تَعْرِيضِه لِلاستِخفافِ بكثرةِ الحَلِفِ

يحتمِلُ أن يكونَ العَطْف على الأوامر السَّابقة، وهي: ﴿وَقَدِّمُواْ﴾، و﴿وَٱتَّقُواْ﴾، و﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾، ووجه التَّناسب: أنَّه لمّا أمرهم باستحضار يوم لقائِه بيَّن لهم شيئًا من التَّقوى دقيق المسْلَك، شديدَ الخفاء، وهو التَّقوى باحترام الاسم المعظَّم، وبيان ما يترتَّبُ على تعظيم اسمِ اللّه واتِّقائه في حُرْمةِ أسمائِه عند الحنث، مع بيانِ ما رُخِّصَ فيه من الحنث، أو لبيان التَّحذير من تعريض اسمه تعالى للاستخفاف بكثرة الحلف[1].

قصديّة التَّعْبير بلفظ الجَعْل:

التَّحذيرُ مِن تَحويلِ الحَلِفِ باللهِ تعالَى عَن مَوَارِدِه التي شَرَعَها

الجَعْل في اللّغة: تَغْييرٌ بإيجادِ الأَثر في الشَّيء، وبِغَيْر ذَلك، ويكون بِمَعْنى الإحداث[2]، وقد ورد في القرآنِ لمعانٍ، منها: التَّحويل للهيئة بإنشاء هَيْئَةٍ جَديدة[3]، وقُصِدَ إلى اختياره لمناسبته سياقَ هذه الآية الكريمة؛ من حيث استعمَالُهُم اسمَه تعالى بالحلف بهِ في غير مورده الذي شرَعَه، فيكون تحويلًا عَن مبتغاه تعالى في إيجاد مسمَّياتٍ له، وحكمتِه في توظيف مقاصِدِها في محلِّها.

سَبَبُ تَعْلِيقِ فِعْلِ الْجَعْلِ بِالذَّاتِ:

التَّحذيرُ مِن ابْتِهَانِ اسْمِ اللهِ بِجَعْلِهِ مانِعًا مِنَ الخَيْرِ

تعليقُ فعل الجعلِ بالذَّاتِ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ هو على معنى التَّعليق بالاسم، فالتقدير: ولا تجعلوا اسمَ اللّه، وحُذِفَ لكثرة الاستعمالِ في مثله عند قيام القرينة؛ لظهور عدم صحَّة تعلُّق الفعل بالمسمَّى[4]، والنُّكْتَةُ في ذلك تعظيمُ الحَلِفِ باللّه تعالى عن أن يُمْتَهَنَ فيُجعلَ مانعًا من الخيرِ.

(1) ابن عاشور، المصدر نفسه: 2/376، وفي هذا العطف مانعٌ؛ لأنه يطول به التَّذييل، وشأن التَّذييل: الإيجاز، وفي العطف توجيهات أخرى عدلنا عن ذكرها إيجازًا، ولِبُعْدِها عن السّياق.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 136.

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جعل).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/376.

بلاغةُ الاستعارةِ في التَّعْبير بلفظ ﴿عُرْضَةً﴾:

وُجُـوبُ تَعْظِيمِ اسْمِ اللهِ تَعَالَى والـنَّـهْـيِ عَـنِ ابْتِذَالِهِ

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ استعارة لِمَا يكْثُرُ الحُلُولُ حَوْلَهُ؛ أي: لا تجْعلُوا اسمَ الله كالشَّيء المُعَرَّضِ للقَاصِدِينَ[1]، فتبتذلوه بكثرة الحلف به؛ ويَؤُولَ إلى التَّهاونِ فيه، واستدعائِه متى ما رُغِبَ في ذلك مِنْ غير داعٍ؛ فإنَّ ذلك منافٍ لتعظيم اسمه سبحانه.

وعُرْضَةُ على وزنِ فُعْلَةٍ، بمعنى: مفعول، كالقبضة، والغرفة، وقُصد إلى التَّعْبير بهذه الصِّيغة لما تحتمله من تعدّدٍ في الدِّلالات، وسعة في المعاني بحَسَبِ مُحتَمَلاتِ السِّياق، وفيها هاهنا تأويلان:

أحدهما: أنْ تحلِفَ بالله تعالى في كلِّ حقٍّ وباطلٍ، فتتبذَّلَ اسمَه، وتجعله عُرضة.

والآخرُ: أنَّ معنى عُرضَة، أي: عِلَّة يتعلَّلُ بها في بِرّه، وفيها وجهان الأوَّلُ: أنْ يمتنع من فعل الخير والإصْلاح بين النَّاس إذا سُئِل، فيقولَ عليَّ يمين أنْ لا أفعل ذلك، أو يحلف بالله في الحال فيعتلّ في ترك الخير باليمين. والآخر: أنْ يحلِفَ بالله ليفعلنَّ الخيرَ والبرَّ، فيقصِدَ في فعله البرَّ في يمينه لا الرَّغبة في فعله[2]، فإذا حلفتم ألَّا تفعلوا، فكفِّروا عن أَيْمانِكُم وأْتُوا الخيرَ، فتحقيق البِرِّ والتَّقوى والإصْلاح أولى مِنَ المحافظة على اليمين.

دِلَالَةُ حَرْفِ الجرِّ (اللّام):

الـنَّـهْـيُ عَـنِ الحَـلِـفِ لِأَجْـلِ الِامْتِنَاعِ مِنَ البِرِّ

اللَّام في قوله: ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ لام التَّعدية، تتعلَّقُ بعُرضَة لِما فيها من معنى الفعل، أي: لا تَجْعَلُوا اسمَ الله مُرْصَدًا ومُعَرَّضًا لأيمانكم فتحلفوا به على الامتناع من البِرِّ والتَّقوى والإصْلاح، ثُم تقولوا:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/379.

(2) الماوردي، النكت والعيون: 1/285، والرازي، مفاتيح الغيب: 6/425، وأبو حيّان، البحر المحيط: 2/187.

سبقت منَّا يمين. ويجوز أن تكون اللَّام للتَّعليل، أي: لا تجعلوا اللّه عُرْضَةً لأجل أيمانكم الصَّادرة على ألَّا تَبَرُّوا[1].

نُكْتَة التَّعْبير بالأيْمَان:

لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحُولَ شَيْءٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَفْعَالِ الْيُمْنِ وَالْبَرَكَةِ

أصلُ اليمينِ: العُضْوُ، واستُعيرَ للحلف؛ لما جرَتْ به العادة في تصافُحِ المتعاقدين[2].

والأيمان: جمع يمين، والمرادُ به الحَلِفُ، سُمِّيَ الحلف يمينًا أخذًا من اليمين التي هي إحدى اليدين وهي اليدُ التي يتيسَّر للإنسان بها فعل معظم أفعاله، وهي اشْتُقَّتْ مِنَ اليُمن وهو البركة، فتسميةُ الحلف يمينًا من تسمية الشَّيء باسم مقارنهِ المُلَازم له، وإطلاقُ اسم اليمين على الخيرات المحلوفِ عليها من المجاز المرسلِ لتلبُّسِه باليمينِ، أي: لا تجعلوا يمينَ اللّهِ أو قَسَمَ اللّهِ مانعًا لما تحلفونَ عليه من أنواع الخير كالبرِّ، والتَّقوى، والإصْلاح بين النَّاس، فإنَّ الحلف باللّه لا يمنعُ ذلك[3]، وفيه إيماءٌ إلى أنَّه لا ينبغي أن يحول شيءٌ دون أفعال الخير هذه؛ لأنَّها خيرٌ ويُمْنٌ وبركَةٌ، أو هو مِن تسمية الشَّيء باسم مكانه كما سمَّوا الماءَ واديًا، وإنما المحلُّ في هذه التَّسمية على هذا الوجه محلٌّ تخييليّ[4].

ولَمّا كان غالبُ أيمانهم إنَّما هو في العهود والحلف؛ وهو الذي يضع فيه المتعاهدون أيديَهم بعضها في بعض، شاعَ إطلاقُ اليمين على كلِّ حَلِفٍ، جريًا على غالبِ الأحوال، فأُطلقَتِ اليمينُ على قَسَمِ المرْءِ في خاصَّة نفسه دون عهْد ولا حلف[5].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/188، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/377.
(2) الراغب، تفسير الراغب: 1/460.
(3) الزركشي، البرهان: 2/298، والبروسوي، روح البيان: 1/349، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/377.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/377.
(5) ابن عاشور، المصدر نفسه: 2/377.

سَبَبُ حَذْفِ (لا):

جَـوَازُ الـحَـذْفِ إِذَا دَلَّتِ الْقَرِينَةُ عَـلَى الْمَـحْـذُوفِ وَأُمِنَ اللَّبْسُ

استُغْنِيَ بالمذكور وتُرِكَ ذِكْر (لا) في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾؛ لدلالة الكلام عليها، واكتفاءً بما ذُكر عَمَّا تُرِك[1]؛ إذ يجوز أن يكون ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ متعلقًا باليمين، وتقديره: أن لا تَبَرُّوا، فحذفَ (لا) أمنًا من الاشتباه في الإثبات[2].

وجوه تعدُّد إعرابِ المصدر:

تَـعْـظِـيـمُ الـلـهِ تعالَى لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سَبَبًا فِي قَطْعِ مَا أَمَرَ اللهُ بِفِعْلِهِ

اللَّام متعلِّقة بعُرضَة، و﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ مفعول الأيمانِ، بتقدير (لا) محذوفةً بعد (أنْ)، والتَّقدير ألَّا تبَرُّوا، نظير قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النِّساء: 176]، فتكون الآية نهيًا عن الحلف باللّه على ترك الطَّاعات، أي: لا تجعلوا الحلف باللّه حجَّةً لكم في ترك فعل الخير فيما بينكم وبينَ اللّه وبين النَّاس؛ لأن تعظيمَ اللّه لا ينبغي أنْ يكون سببًا في قطع ما أمر اللّه بفعله، وهذا النَّهي يستَلْزِم: أنَّه إنْ وقعَ الحلف على ترك البِرِّ والتَّقوى والإصْلاح، أنَّه لا حرجَ في ذلك، وأنّه يكفِّر عن يمينه ويفعل الخير[3].

الـنَّـهْـيُ عَـنْ جَعْلِ اسْمِ اللهِ مُعَرَّضًا لِلْحَلِفِ

أو معناه: لا تجعلوا اسمَ اللّه مُعرَّضًا للحلف، ويكون قوله: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ مفعولا لأجله؛ ليكونَ عِلَّة لهذا النَّهْي. واختلفوا في التَّقدير، فقيل: كراهة أن تبَرُّوا، أو لترك أن تَبَرُّوا، أو: لأنْ لا تبرُّوا ولا تتَّقوا ولا تصلحوا، أو إرادة أنْ تبرُّوا وهو الأظهرُ، والمعنى: إنّما نهْيُكُم عن هذا لِما في توقِّي ذلك مِن البِرِّ والتَّقوى والإصْلاح، فتكونون معاشرَ المؤمنين بررة أتقياء مُصلحين في الأرض غير مفسدين[4].

فقول اللّه تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي: لا تكثروا الحلف به وإن كان ذلك تعظيمًا له خشية أنْ يُفضي بكم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 4/425.
(2) الراغب، تفسير الراغب: 1/461.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 4/424، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/379.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/188.

التَّحْذِيرُ مِنْ كَثْرَةِ الْحَلِفِ وَالْإِسْرَاعِ إِلَيْهِ

ذلك إلى التهاون وعدم التعظيم[1]؛ لأنَّ كثرة الحلف تعرِّضُ الحالف للحنث، وكانت كثرة الأيمان من عادات الجاهلية، في جملة العوائد النَّاشئة عن الغضب واضطراب الحُمْقِ، فنهى الإسلام عن ذلك، ولذلك تَمَدَّحُوا بقلَّةِ الأَيْمَانِ[2].

دِلَالَةُ حَذْفِ مَفْعُولَيْ ﴿تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ﴾:

عُمُومُ أَفْعَالِ الْخَيْرِ، وَاستغراقُ صُوَرِ التَّقْوَى

عُنِيَ بـ﴿تَبَرُّواْ﴾ فعلِ الخير كلّه؛ وذلك أنَّ أفعال الخير كلّها من البرِّ، ولم يخصِّص اللّه في قوله: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ معنى دون معنى من معاني البرِّ، فهو على عمومه[3]، وكذا الأمر في فعل التَّقوى لعديد متعلقاته، وكثرةِ صُوَرِهَا وأفرادِهَا، ووجه ذلك: أنَّ حذف المتعلَّق مُشْعِرٌ بالعموم ومُؤْذِنٌ به.

سِرُّ إِظْهَارِ مُتَعَلَّقِ الإِصْلاحِ:

سُمُوُّ مَنْزِلَةِ الإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ

لَمَّا كانت هذه الآيةُ نازلةً في مسألة اليمين في حالٍ من حالات إصْلاح ذاتِ البين؛ إذ نزلتْ في عبد اللّه بن رواحة، وكان بينَه وبين خَتَنِه على أخته بشيرِ بن النّعمان الأنصاريّ شيءٌ، فحلَفَ عبد اللّه أن لا يدخل عليه ولا يكلِّمَه ولا يُصلِحَ بينه وبين خصْمِه، وإذا قيل له فيه، قال: قد حلفتُ باللّه أن لا أفعل، فلا يحلُّ لي إلّا أن تبرَّ بيميني، فأنزل اللّه هذه الآية[4]، ولذلك حدَّد متعلّق الإصْلاح في قوله: ﴿وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾؛ ليُطابقَ علَّة نزول الآي، مع أنّ في الآية إلماحًا إلى العموم، مصداقُه: لفظ ﴿ٱلنَّاسِۚ﴾ بدلالة اللّام المُعرِّفة لاستغراق الجنس التي وسّعت حدود انطباق حكم الآية الكريمة من خصوصية سبب النّزول إلى عموم الإصْلاح بين النَّاس؛ إذ من قواعد أهل العلم: أنَّ العبرةَ بعموم اللَّفظِ لا بخصوصِ السَّبَبِ، وفي التَّصريح بالمتعلَّقِ إيماءٌ إلى شرَفِ الإصلاحِ بين النَّاسِ.

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/271.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/379.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 4/425.
(4) الواحدي، الوسيط: 1/330 والبغوي، معالم التنزيل: 1/262.

نُكْتَةُ التَّعْبير بِالْأَفْعَالِ الْمُضَارِعَةِ:

المُـدَاوَمَـةُ عَـلَى أَفْـعَـالِ الْـخَـيْرِ وَعَدَمُ قَطْعِهَا

جاءت صيغة الأفعال الثلاثة: ﴿تَبَرُّواْ﴾، و﴿وَتَتَّقُواْ﴾، و﴿وَتُصْلِحُواْ﴾، وقبلها: الفعل ﴿تَجْعَلُواْ﴾ بصيغةِ المضارعِ؛ للدَّلالة على التَّجدُّدِ الاستمراريِّ وجريانه في كلِّ زمان، بقرينَةِ مدحِ الأفعالِ والنَّهي عن جعل اليمين حاجزًا دونَهَا، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ أفعالَ الخيرِ المذكورةَ مطلوبٌ إتيانُهَا على وجهِ الاستدامَةِ وعدمُ قطعَها.

عِلَّة ترتيب الأفعال:

التَّـدَرُّجُ مِـنَ الأَعَـمِّ إلى الأَخصِّ، وشَرَفُ الإصـلاحِ بـينَ النَّاس

في قول الله تعالى: ﴿تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ انتظم تسلسل ورود الأفعال المضارعة ترقِّيًا مِن العامّ إلى الخاصّ، لأنّ التَّقوى أخصُّ من البرِّ، والإصلاح بين النَّاس أخصُّ[1].

وفي عطف التَّقوى على البر، والإصلاح على التَّقوى: إطنابٌ بذكر الخاصِّ بعد العامِّ؛ تنبيهًا على شرفِ الفَرْدِ الخاصِّ، إذ قد كُرِّر ذكرُهُ، مرَّةً مندرجًا تحتَ اللَّفْظِ العامِّ، وأخرَى على سبيل الانفرادِ، وزاد الإصلاح بين النَّاسِ فذُكِرَ ثلاثَ مرَّاتٍ؛ مرَّتين مندرجًا في اللفظ العامِّ - البرِّ، التَّقوى -، وثالثةً على جهة الاستقلالِ، فيكون في هذا تنويهٌ بشأنِ الإصلاح بين النَّاسِ؛ لنفعِهِ المتعدِّي.

سرّ التَّذْييل في قَولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

عُمُومِ عِلْمِ اللهِ تعالى بالظَّاهر والـبـاطـن ومجازاةُ العبادِ عليهَا

قول الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ تذييلٌ، وهو تذييلٌ جارٍ مجرى المثَلِ؛ لاستقلالِهِ بالإفادةِ، وعدم افتقارِهِ إلى ما قبلَهُ في الكشفِ عن حقيقةِ معناه، والمرادُ منه: العلم بالأقوال والنّيّات، فسَمِيعٌ، أي: لأقوال العباد، وعَلِيمٌ، أي: بنيَّاتهم، والمقصود مع معناهُ الأصليّ الإشارةُ إلى لازمِه؛ وهو الوعْد على الامتثال، أو العُذْر في الحِنث، أو التَّحذير مِن الحلِف[2]، والجميعُ حقٌّ؛ إذ لا تعارُضَ بينها،

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/272.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/379.

وقد أطلقَ اللّه تعالى الوصفين ولم يُقيِّدهما بقيدٍ، وحَذْفُ المُتَعَلَّقِ مُشْعِرٌ بالعموم، فهو سميع بكل مسموع، عليم بكل معلوم، يجازِي بالثَّواب عليهِ إن كان خيرًا، ويعاقبُ عليه إن كان شرًّا.

عِلْمُ العبدِ بأنَّ اللهَ عَلِيمٌ يُوجِبُ عَلَيْهِ الْخَوْفَ مِنْهُ

فالتهديدُ والوعيدُ من اللّه تعالى بأنّه مُطَّلع على جميع ما تُعلنونه أو تُسرُّونه[1]، وذلك يوجِبُ على العبدِ الخوفَ مِنْهُ، وفيهِ التَّنبيهُ بأنّ اللّه تعالى عالمٌ بالمقاصد[2]، فإن حلفتم يسمع، وإن تركتم الحلفَ تعظيمًا للّه وإجلالًا من أنْ يُسْتَشْهَدَ باسمه الكريم في الأعراض العاجلة، فهو عليم عالم بما في قلوبكم وَنِيّتكم[3].

تنَاسُبُ فاصِلَةِ الآيـــة مـــعَ مَضْمُونِهَا

خُتِمَتِ الآيةُ بهاتين الصّفتين ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لتقدُّم مناسبتهما؛ وهو من تشابُهِ الأطراف[4]؛ فإنَّ الحَلفَ متعلِّقٌ بالسّمع؛ لأنّه من المسموعات، وإرادةَ البرِّ والتّقوى والإصْلاح متعلّقةٌ بالعِلم؛ لأنّها من أفعال القلبِ، وكذا فعلُ البرِّ وما بعده متعلِّقَةٌ بالعلْم؛ لأنَّها من أفعال الجوارِحِ، فجاءت هاتان الصّفتان منتظمتين للعِلَّة والمعلول[5].

عِلَّة تقديم السَّمع على العِلْمِ:

انْتِظَامُ كلِّ اسمٍ للهِ تعالَى معَ مُتَعَلَّقِهِ

قُدِّم اسم اللّه (السّميع)؛ لتقدُّم متعلَّقِه وهو الحَلفُ، فجاءتا على ترتيب ما سبق مِن تقديم السَّمع على العِلْم، كما قُدِّمَ الحلف على الإرادة[6]، ففيه ضربٌ من اللَّفِّ والنَّشْرِ المُرتَّب.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(جَعَلَ)، و(خَلَقَ)، و(صَنَعَ)، و(عَمِلَ)، و(فَعَلَ)، و(أَنْشَأَ):

الجَعْل: لفظ عامٌّ في الأفعال كلّها، وهو إيجادٌ، أو تغييرٌ، مصحوبٌ بأثَرٍ أو بغيرِهِ

الجَعْلُ: تَغْيِيرٌ بإيجادِ الأَثر فِي الشَّيء، وبِغَيْر ذَلِك؛ أَلا ترى

(1) ابن جرير، جامع البيان: 4/427.
(2) الراغب، تفسير الراغب: 1/461.
(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 6/425.
(4) تشابه الأطراف: أن يُخْتَمَ الكلامُ بما يُناسبُ أوَّله في المعنى. يُنظر: عبد المتعال الصَّعيديّ، بغية الإيضاح: 4/584.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/189-190.
(6) أبو حيّان، المصدر نفسه: 2/189-190، والسمين، الدُّرُّ المصون: 2/430.

أَنَّك تَقول: جعل الطين خزفًا، وجَعَلَ السَّاكِن متحرِّكًا، وَتقول: عمل الطين خزفًا، وَلَا تَقول عمل السَّاكِن متحركا؛لِأَن الحَرَكَة لَيست بأثر يُؤثر بِهِ فِي الشَّيء. والجَعْلُ أَيْضًا يكون بِمَعْنى الإحداث[1]، والتَّوجُّهِ والشّرُوعِ فِي الشَّيء والاشتغالِ بِهِ. وتبيّن في شرح المعنى اللغوي للفظة أَنَّ تَصَرُّفَها في القرآن ورد بمعنى: التَّحويل والتَّهْيئة على وَضْعٍ، أو التَّحويلُ للهيئة بإنشاء هَيْئَةٍ جَديدة[2]. فلفظ الجَعْل: لفظ عامٌّ في الأفعال كلها، وهو أعمُّ من فَعَلَ، وصَنَعَ وسائر أخواتها[3].

الجَعْل: فيه معنى التَّضمين، والتَّحصيل من آخر، والخَلقُ: فيه معنى التَّقدير، والأوَّليّة

يُستعمل الخَلق في إبداع الشَّيء من غير أصل ولا احتذاء، أي: من غير مثال سابق. ولا يكون إلا للّه تعالى، وأمّا الذي يكون بالاستحالة، فقد جعله اللّه تعالى لغيره في بعض الأحوال كعيسى[4] عليه السلام. وفرّق الزمخشريُّ بين الجَعْل، والخَلق بالقول: "إنَّ الخَلق فيه معنى التقدير، وفي الجَعْل معنى التَّضمين، كإنشاء شيء من شيء، أو تصيير شيء شيئًا، أو نقله من مكان إلى مكان"[5]. فالخَلق معناه الإنْشاءُ والإيجادُ الابتدائيُّ من العدم من غير مثالٍ سابقٍ، أما الجَعْل فيتضمَّنُ معنى تكوين شيءٍ من شيءٍ، أو من أشياء، أي: كونه محصَّلًا من آخر كأنَّه في ضمنه[6].

العَمَلُ إيجاد الأثر في الشَّيء من غير اقتضاء العلم به، والجَعْل تغيير بأثر أو بغيره

فرّق أبو هلال العسكريّ بين العَمَلِ، والجَعْل فذهب إلى أنَّ العَمَل هُوَ إيجاد الأثر في الشَّيء من غير علم، والجَعْل تَغْيِير بإيجاد الأَثر فِيهِ وبِغَيْر ذَلِك. فالعَمَل لَا يَقْتَضِي العلم بِما يعلم لَهُ، والعَمَل يكون بمعنى الإحداث[7]؛ لأنّه: إيجاد الأثر في الشَّيء من غير إحاطةٍ شاملة، أو عِلمٍ وافٍ بما سيؤول إليه حالُه مِنْ بَعْدُ. فهو: كل فعل يكون

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 136.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (جعل).
(3) الخليل، العين، الراغب، المفردات، ابن منظور، اللسان: (جعل).
(4) الراغب، المفردات: (خلق).
(5) الزمخشري، الكشاف: 2/3.
(6) الآلوسي، روح المعاني: 7/82، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 5/29.
(7) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 135.

من الحيوان بقصد، دون ما كان من الجماد. فهو أخصُّ من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعَمَل قلما ينسب إلى ذلك[1].

شـرط الصنع الإجادةُ، وليس في الجَعْل ذلك

الصنع: إجادة الفعل، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل. ولذلك يقال للحاذق المجيد: صَنَعٌ؛ لإجادته[2]. فهو مضمَّن بالجَودة، وهو: تَرْتِيب العَمَل وإحكامه على مَا تقدَّم من علم بِهِ[3].

الفعل: هو التأثير من جهة مؤثّر، وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان بعلم أو غير علم، وقَصْدٍ أو غير قَصْدٍ، ولما كان من الإنسان، والحيوان، والجَمادات[4]. وعُمُومُهُ يُخْرجه من قَصْديّة التَّعْبير به في هذا الموضع، فضلًا عن عدم تضمّنه معنى الإيجاد المصحوب بأثر التي يتضمّنهما لفظ الجعْل.

الفـعـل لـفـظٌ عـــامٌّ، وفي طلبهم قَـصْـدٌ، وخصوصيّة

مـــلاك أمـــر الإنشاء التّدرّج، ولـيـس ذلـك في الجَعْل

الإنشاءُ: إحداث الشَّيء، وإيجاده، وتربيته[5]. شيئًا فشيئًا حتى يستوي على سوقه، فملاك معناه التَّدرّج بدءًا، وانتهاءً.

نخلص إذن ممَّا تقدَّم عرضُه من معانٍ للألفاظ المشابهة للفظة الجَعْل: قصديّة اختيارها في الآية الكريمة والعدول عن مُشابهاتها بوصف الجعْل إحداثًا، أو تَغْيِيرًا بإيجادِ الأَثر في الشَّيء، وبِغَيْر ذَلِك، وإنشاءَ هَيْئَةٍ جَديدة، وهو الحاصل عند الحالف الجاعل اسم الله تعالى معرَّضًا للقَسَم، ومحطًّا للتهاون، ومنعًا للبرِّ واسمه تعالى أقدس من أن يُتَنَزَّلَ به إلى هذه المآلات، والله أعلم.

(1) الراغب، المفردات: (عمل).
(2) الراغب، المفردات: (صنع).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 135.
(4) الراغب، المفردات: (عمل).
(5) الراغب، نفسه: (عمل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 3 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-54-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 3 : سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-54-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»